جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

التناسب في سورة الكافرون (دراسة بلاغية)

الدكتورة
رشا عبد الظاهر محمد سيد
مدرس البلاغة والنقد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م
الجزء الخامس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

التناسب في سورة الكافرون (دراسة بلاغية)

البحث في القرآن الكريم يعد شرفًا ؛ وهذا ما دفعني للاتجاه لدراسة تتعلق بالقرآن الكريم، وهي دراسة التناسب في سورة الكافرون (دراسة بلاغية)؛ لعرض قضية تمحيص الكفر من الإيمان في ثوب التناسب، بتناول أوجه التناسب المتنوعة في السورة ، وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث قسمتها بدءً من المفردة إلى الجملة وانتهاءً بالجمل على النحو التالي:

*المبحث الأول: التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الكافرون.

*المبحث الثاني: التناسب في البناء التركيبي لمفردات سورة الكافرون.

*المبحث الثالث: التناسب بين معاقد سورة الكافرون.

والخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع ، وفهرس المحتويات.

الكلمات المفتاحية :

التناسب ، الكافرون ، القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، سورة الكافرون ، آيات القرآن

✍ الدكتورة / **رشا عبد الظاهر محمد سيد**
مدرس البلاغة والنقد
في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

Abstract

Proportionality in Surat Al-Kafirun (Rhetorical Study)

Research in the Holy Qur'an is an honor; this has prompted me to address a study on the Holy Qur'an, which is the study of proportionality in the Qur'an (rhetorical study); To present the case of examining the infidel of faith in the dress of proportionality, by addressing the various proportions in the Surah, the search included an introduction, a foreword and three scholars divided from the term to the sentence to the sentence as follows:

*First research: The proportion between the pupil and the destination and the conclusion in the sura of the kafir.

*The second research: Proportionality in the structure of the Holy Qur'an.

*Third Research: The proportion between a sura-kafir contractor.

Conclusion, index of resources, references, and index of contents.

key words:

Proportionality, unbelievers, the Koran, rhetorical study, surat unbelievers, verses of the Koran .

Dr.

Rasha Abdel Zaher Mohamed Sayed

Teacher of rhetoric and criticism

At the Islamic Girls College in Assiut

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد :

فإن القرآن الكريم من أهم مجالات البحث في الدراسات البلاغية ، وقد عني به البلاغيون بوجه عام في شتى فروعها ، ولا سيما دراسة الترابط والتناسق بين الآيات والسور؛ لأن روعة التناسب ودقة التلاحم بين الآيات والسور يدفع لخوض غمار بحر التناسب الكاشف عن أسرار وعلاقات البيان القرآني، فـ " إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت منه جسمًا كاملًا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه، ولمحت فيه معنىً عامًا يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة، فبين كلمات الجملة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب، وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات" [(١)] تثير العجب بحسن سبكها، ودقة نظمها، المخالف للنظم البشري، ومن هنا استوقفني التناسب القرآني ؛ فتوجهت لدراسته في سورة حوت قضية كانت وما زالت مجال أخذ ورد بين أهل الإيمان والكفر ، وهي قضية تمحيص الكفر من الإيمان، في سورة الكافرون.

---

(١)مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، (٢/ ٣١٦)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية موضوع " التناسب في سورة الكافرون (دراسة بلاغية) " إلى الكشف عن جوانب التناسب في السورة ، وذلك توغلًا في الكشف عن خصائص التراكيب القرآنية المفعمة بالدقائق البلاغية، والتي يعجز الإنسان عن محاكاتها مهما كانت بلاغته وتمكنه من أساليب اللغة.

منهجه:

اعتمدت على المنهج التحليلي البلاغي القائم على علاقات التناسب بين المفردات، والجملة، والجمل، والتي تجعل السورة وحدة واحدة متماسكة البنيان.

الدراسات البلاغية السابقة في سورة الكافرون:

١- المتقابلات التبادلية في اللغة العربية : تطبيق على سورة (الكافرون).

محمود رمضان الديكي.

جامعة جرش للبحوث والدراسات، مجلد (١٠)، عدد (١) سنة ٢٠٠٥م.

وهي دراسة تعرض لمواضع العكس والتبديل الوارد في السورة.

٢- تبادل الضمائر في سورة الكافرون (دراسة تحليلية).

د . آلاء طارق محمود آغا — قسم اللغة العربية / كلية الآداب.

د . عائشة خضر أحمد — قسم اللغة العربية / كلية التربية للبنات.

مجلة التربية والعلم مجلد (١٧)، عدد (٤)، لسنة ٢٠١٠م.

وهي دراسة تدور بين شقي اللغة (البلاغة، وأصول اللغة) ؛ حيث تعرض الدراسة الضمائر الواردة في السورة على تنوعها للكشف عن دلالتها البلاغية واللسانية.

الفوارق بين هذا الموضوع وما كتب في السورة من أبحاث:

تناول هذا البحث جميع جوانب التناسب البلاغي في سورة الكافرون، التي لم يسبق تناولها بالدراسة من قبل، وهو موضوع بعيد كل البُعد عن موضوع الدراستين السابق عرضهما في سورة الكافرون.

أسباب اختيار الموضوع:

١- جدة الموضوع ودقته.

٢- تعلق الموضوع بكتاب الله – تعالى – وقضية الكفر والإيمان بإعلان مطلق براءة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من الكفر وأهله، والتي مهما مر عليها الزمن ستظل مجالًا خصبًا للبحث والدرس.

٣- ربط ما ورد في السورة من نكات بلاغية بموضوع التناسب للكشف عن جوانب جديدة في قضية تمحيص الكفر من الإيمان.

وقد جاء البحث في **مقدمة**، وتمهيد، وثلاثة مباحث على النحو التالي:

التمهيد: التناسب وسورة الكافرون.

ويضم:

*تعريف التناسب لغة واصطلاحًا.

* أهمية علم التناسب.

* فائدة علم التناسب.

* أنواع التناسب في القرآن الكريم بوجه عام.

* التناسب بين عدد آيات السورة وأسمائها.

* سبب تسميتها بـــ(سورة الكافرون).

* العلاقة بين السورة وسبب نزولها.

*فضل السورة وصلته بالتناسب.

*** **المباحث**:

*المبحث الأول: التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الكافرون.

*المبحث الثاني: التناسب في البناء التركيبي لمفردات سورة الكافرون.

*المبحث الثالث: التناسب بين معاقد سورة الكافرون.

*الخاتمة: وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها.

* فهرس المصادر والمراجع.

* فهرس المحتويات.

التمهيد

التناسب وسورة الكافرون

*تعريف التناسب لغة واصطلاحاً:

يقول ابن فارس في مقاييس اللغة:"(نَسَبَ) النُّونُ وَالسِّينُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ قِيَاسُهَا اتِّصَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ. مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ."(١)

"ومن المَجَاز: المُناسَبةُ: المُشَاكَلَةُ، يقالُ: بَين الشَّيْئَين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ: أَي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ." (٢)

التناسب القرآني في اصطلاح علماء الإعجاز:

يعرفه البقاعي بقوله: " علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال."(٣)

واستطاع الإمام البقاعي بإيراد كلمة واحدة في ثنايا تعريفه أن يتناول جميع أنواع علم التناسب القرآني ، وهي قوله: (أجزائه) حيث تضمنت تناسب السورة مع سابقتها ولاحقتها، وتناسب مطلع السورة مع مسماها

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين(ت: ٣٩٥هـ) ، (٥/ ٤٢٣، ٤٢٤) (ن س ب)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط:(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، (٤/ ٢٦٥) (ن س ب)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م)، (٦/١) ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .

ومقصدها، وتناسب مطلعها مع خاتمتها، وتناسب آيات السورة مع بعضها بعضًا، بالإضافة إلى تناسب كلمات وتراكيب السورة وجميع مكوناتها، بالإضافة إلى جميع أنواع العلاقات في السورة القرآنية.

التناسب في اصطلاح البلاغيين:

عرفه الخطيب بقوله: هو " أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد" (١) " أي بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحبته في إدراكه أو لمناسبته في شكل أو لترتب بعض على بعض أو ما أشبه شيئًا من ذلك" (٢)

وعرفه النويري بقوله: "هو ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر." (٣)

أهمية علم التناسب:

تظهر في مقولة الفخر الرازي في تفسيره لسورة البقرة " ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز

---

(١) ورد هذا التعريف عند الخطيب تحت مسمى مراعاة النظير أو التناسب والائتلاف والتوفيق. الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبدالله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني(ت: ٧٣٩هـ)، ،ص٣٢٣، دار إحياء العلوم – بيروت، ط: الرابعة (١٩٩٨م).

(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد، ضمن شروح التلخيص، (٤/ ٣٠١) ، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ) ، (٧/ ١٠٧) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى: (١٤٢٣هـ).

بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضًا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته."[١]

كما أشار البقاعي إلى أهميته في مقولته: " وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال."[٢]

فائدة علم التناسب:

يقول الزركشي إن فائدته هي: " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." [٣]

أنواع التناسب في القرآن الكريم بوجه عام:

١- تناسب سور القرآن مع بعضها.

٢- تناسب آيات السورة مع بعضها بعضًا.

٣- تناسب فاتحة السورة مع خاتمتها.[٤]

---

(١) مفاتيح الغيب ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، (٧/ ١٠٦)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٢٠ هـ).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/١).

(٣) البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت: ٧٩٤هـ)، (١/ ٣٦)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى (١٣٧٦هـ – ١٩٥٧ م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

(٤) ينظر: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت: ٩١١هـ)، مقدمة المحقق ص١٣ ، ١٤ ، قرأه وتممه/د: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، ط: الأولى (١٤٢٦هـ).

وسأقوم في هذا البحث بتطبيق جميع وجوه التناسب على سورة "الكافرون" – قدر المستطاع –

{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾} [الكافرون ١: ٦]

** **التناسب بين عدد آيات السورة وأسمائها**:

"سورة مكية آياتها ست ... وهي سورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال." [١] "وتسمى أيضًا سورة المنابذة، أو المعابدة، وسورة الإخلاص، أي إخلاص العبادة، وسورة المقشقشة، أي المبرئة من النفاق" [٢] والشرك.

يتحقق التناسب العددي بين عدد آيات السورة وعدد حروف اسمها، فعلاقة عدد آيات السورة باسمها الذي سميت به في القرآن علاقة توافق وتطابق؛ حيث يتناسب عدد آياتها الست مع عدد حروف اسم الفاعل الستة (ك – ا – ف – ر – و – ن) بدون لام التعريف، والتناسب العددي هنا يؤكد التلاؤم والترابط بين اسم السورة وعدد آياتها، بالإضافة إلى اتحاد فاصلة النون بين آخر حرف في اسم السورة وآخر حرف في أول وآخر آية في السورة؛ مما يزيد في التوافق.

---

(١) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، لمحمد حسين سلامة، ص٤٤٠، دار الآفاق العربية، ط: الأولى (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي (ت: ١٣١٦هـ) ، (٢/ ٦٧٢)، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٧هـ).

وسميت سورة التوحيد والبراءة من الشرك، وسورة المنابذة، أو المعابدة، وسورة الإخلاص، أي إخلاص العبادة، وسورة المقشقشة، أي المبرئة من النفاق والشرك؛ لتناسب هذه الأسماء مع إعلان المصطفى – صلى الله عليه وسلم – توحيد العبودية لله – عز وجل – والإخلاص فيها، وتبرئه من عبادة غيره من المعبودات، ولذلك نادهم في مطلع السورة وكأنه يتبرأ من هذه الفئة الضالة المضلة، فهو ليس منهم وأكد هذا التبرؤ معنويًا في صلب السورة وخاتمتها، فالسورة جاءت عبارة عن حلقة مفرغة من إعلانه – صلى الله عليه وسلم – التوحيد، والاخلاص في العبادة، والبراءة من النقاق والشرك.

** **سبب تسميتها بـ(سورة الكافرون)**:

"سميت هذه السورة بهذا الاسم، لقوله تعالى في أوّلها: {قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ} " [(١)] فقد بدأت بذكر وصف (الكافرون) ؛ فالعلاقة لفظية بين هذه التسمية وبدء السورة بذكرهم؛ إذ إنهم هم الموجه لهم الخطاب في السورة من مطلعها إلى خاتمتها من قِبل المولى – عز وجل – على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم – فناسب هذا البدء هذه التسمية؛ لدوران السورة في فلك الكافرين وفساد عقيدتهم.

** **العلاقة بين السورة وسبب نزولها**:

" نزلت في (رهط من قريش) ، قالوا: يا محمد! هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك: تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فإن كان الذي جئت به خيرًا مما

(١)الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين، (١٢/ ٢٥٩)، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط: الأولى (١٤٢٠هـ).

بأيدينا، كنا قد شركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا، خيرًا مما في يديك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك. فقال: معاذ الله أن أشرك به غيره. فأنزل الله تعالى: قل يا أيها الكافرون إلى آخر السورة. فغدا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش، فقرأها عليها حتى فرغ من السورة. فأيسوا منه عند ذلك." (١)

العلاقة بين السورة وسبب نزولها التقابل في الفكرة؛ حيث إنهم قصدوا من عرضهم على المصطفى – صلى الله عليه وسلم – تبادل المنفعة بتبادل المعبودات في وقت ما، فرد عليهم المولى – عز وجل – بالتقابل في العقيدة الرافض لتحولها بثبات كل فريق على عقيدته في الفكرة محل العرض في السورة؛ مما يؤكد التناسب بين السورة وسبب نزولها.

* **فضل السورة وصلته بالتناسب**:

تعدل ربع القرآن وقد ورد ذلك فيما روي " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فُلاَنُ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلاَ عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ؟} [الإخلاص: ١] قَالَ: بَلَى، قَالَ: ثُلُثُ القُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ {إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ؟} [النصر: ١] قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ القُرْآنِ قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ۝}[الكافرون: ١] قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ

(١) أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت: ٤٦٨هـ) ، ص: ٤٩٦، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى(١٤١١ هـ).

القُرْآنِ قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ {إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞} [الزلزلة: ١] قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ القُرْآنِ قَالَ: تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ."(١)

وهي تعدل ربع القرآن لأن " القرآن مشتمل على الأمر بالمأمورات والنهي عن المحرمات، وكل واحد منهما ينقسم إلى ما يتعلق بالقلوب وإلى ما يتعلق بالجوارح وهذه السورة مشتملة على النهي عن المحرمات المتعلقة بأفعال القلوب فتكون ربعا للقرآن والله أعلم." (٢) حيث يظهر التناسب هنا بين اشتمال السورة على النهي المتعلق بأفعال القلوب وبين عدلها ربع القرآن تناسبًا جليًا.

وسورة الكافرون تعد براءة من الشرك بدليل ما جاء في السنة النبوية " عن فروةَ بنِ نوفَلٍ عن أبيهِ: أن النبيَّ- صلى الله عليه وسلم - قال لِنَوْفَل: "اقرأ: { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ۞} ثم نَمْ على خَاتِمتِها، فإنها بَراءةٌ مِنَ الشرك."(٣)

حيث تناسب فضلها هنا – في كونها براءة من الشرك – مع تبرئة ساحة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من الشرك.

---

(١) الجامع الكبير – سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، باب : ما جاء في إذا زلزلت ، حديث رقم: ٢٨٩٥، (٥/ ١٦) وهذا حديث حسن، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت (١٩٩٨م).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٢٣).

(٣) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت:٢٧٥هـ) ، حديث رقم: ٥٠٥٥ (٧/ ٣٩٥)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م).

المبحث الأول

التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الكافرون

ويضم:

أ- تناسب السورة مع سابقتها ولاحقتها.

ب - تناسب مطلعها مع مقصدها.

جـ - تناسب مطلعها مع خاتمتها.

أ- تناسب السورة مع سابقتها ولاحقتها:

علاقة السورة بسابقتها ولاحقتها علاقة تضاد دلالي – في المضمون – من حيث إثبات عبادة ونفي عبادة، ففي سورة (الكوثر) أثبت عبادة الصلاة ونحر الهدي بذكر اسم الله أداءً لشكر نعمه عليه – صلى الله عليه وسلم- ، كما أنه أثبت في سورة (النصر) عبادة التسبيح والحمد والاستغفار؛ شكرًا لاجتماع الناس على دين الله، بينما جاء نفي العبادة في سورة (الكافرون) بالنسبة للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – في نفي عبادته لغير الله ، في حين نفي عبادة الكفار لله، وبذلك يكون التضاد الدلالي في نفي العبادة وإثبات العبادة بين سورة (الكافرون) وسابقتها ولاحقتها نزل منزلة التناسب مما يؤكد تحقق التناسب بين السورة وسابقتها ولاحقتها.

كما تظهر علاقة الترقي[١] في ذكر الكفار والجزاء بين سورة (الكافرون) وسابقتها ولاحقتها.

حيث إنه لما بدأ سبحانه وتعالى في سورة الكوثر بالمسح على قلب نبيه؛ ليُبرأه مما رماه به الكافرون – من كونه أبتر مقطوعَ الذكر لموت أولاده الذكور– بالحديث عن فضله العظيم عليه بإعطائه الخير الكثير والنعم العظيمة في الدنيا والآخرة ومنها نهر الكوثر وغيره من النعم، ودعته لإدامة شكر الله بالصلاة ونحر الهدي ، وخُتمت ببشارته – صلى الله عليه وسلم – بخزي أعدائه[٢] بمجازاتهم الجزاء الأمثل، ببيان أن شانئه هو الأبتر مقطوع الذكر، وشانئه هذا كافر يدخل في جملة الكافرين ، فترقى من ذكر شانئه خاصةً إلى ذكر الكافرين فاسدي العقيدة عامة على سبيل الترقي في ذكر الكفار بين آخر سورة (الكوثر) وأول سورة (الكافرون).

فجاء سبحانه وتعالى بسورة الكافرون؛ لتدحض مزاعم الكافرين السخيفة في الماضي والحال والاستقبال[٣] وهي من أدلة تمام المداومة على الشكر بإعلان إخلاصه – صلى الله عليه وسلم– العبادة والتوحيد للمولى – عز وجل – دون غيره من المعبودات الباطلة، وهنا يأتي الترقي في الجزاء بختم السورة بنيل كل فريق جزاءه المستحق على عقيدته ودينه المعتنق؛ حيث ترقى من ذكر الجزاء المستحق في آخر سورة (الكافرون) إلى ذكر

---

(١) الترقي: هو أن يذكر معنى، ثم يردفه بأبلغ منه، نحو: عالمُ نحرير، وشجاع باسل. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، لبهاء الدين السبكي،(٤/٤٧٣)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

(٢) ينظر: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، ص٤٣٨.

(٣) ينظر السابق، ص٤٤٠.

الجزاء الجزيل في أول سورة (النصر)، كجزاءٍ للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – على إخلاص العبادة لله؛ حيث النصر والعزة بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا.

وبذلك يظهر معنى التناسب بوضوح بين سورة الكافرون والكوثر والنصر بالتضاد الدلالي، والترقي في ذكر الكفار، والجزاء كمظهر من مظاهر الإعجاز القرآني ، الذي يعجز البشر عن محاكاته.

ومما يثير العجب من أوجه تناسب سورة (الكافرون) مع سابقتها ولاحقتها، أن موقع سورة الكافرون بتوسطها بين سورتي الكوثر والنصر يشبه الجوهرة الثمينة المتوسطة في العقد أو القلادة ؛ لتميزها في الحجم عن باقي حبات العقد؛ حيث إن سورة الكافرون اشتملت على ست آيات في حين كان عدد آيات سورتي الكوثر والنصر ثلاث آيات، فتوسطت بينهما لتماثلهما في عدد الآيات – الحجم – وتميز سورة الكافرون عنهما بكونها تشتمل على ضعف عدد آياتهما.

ب - تناسب مطلعها مع مقصدها.

مطلع السورة قوله تعالى: { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ } [الكافرون: ١]

علاقة مطلع السورة بمقصدها علاقة تعليل.

حيث إن سورة الكافرون " مقصودها إثبات مقصود الكوثر بالدليل الشهودي على منزلها كامل العلم شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية" [(١)] ومقصود سورة الكوثر " المنحة بكل خير يمكن أن يكون"[(٢)] على المصطفى

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٣٠٠).
(٢) ينظر السابق (٢٢/ ٢٨٧).

– صلى الله عليه وسلم – جزاءً له على توحيده للمولى – عز وجل – في العبادة، فجاء في مطلع سورة الكافرون بالأمر له – صلى الله عليه وسلم – من قِبل المولى – عز وجل – بنداء الكافرين بوصفهم الثابت الذي يستحقونه – على سبيل التعليل – ؛ حتى يعلموا مجانبته – صلى الله عليه وسلم – لهم في العقيدة وتوحيده للمولى – عز وجل – في العبادة وانقياده لأوامره طوع إرادته؛ لأنه المنفرد بالوحدانية على خلافهم؛ ولذلك جزاه الله الجزاء الجزيل الذي سبق ذكره في سورة الكوثر، وبذلك يتناسب مطلع السورة مع مقصدها في إثبات مقصود سورة الكوثر بإثبات المنحة بالخير الجزيل للمصطفى – صلى الله عليه وسلم – وقد تحقق ذلك بالفعل.

جـ - تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

مطلع السورة قوله تعالى: {قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ }[الكافرون: ١]. حيث " ناداهم بحقيقتهم، ووصفهم بصفتهم.. إنهم ليسوا على دين، وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون. فلا التقاء إذن بينك وبينهم في طريق." (١)

وخاتمتها قوله تعالى: { لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ }[الكافرون: ٦]. " أي لكم حسابكم ولي حسابي لا يرجع إلى كل منا من عمل صاحبه أثر." (٢) أو " لكم شرككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرؤ." (٣)

---

(١) في ظلال القرآن ، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، (٦/ ٣٩٩١) ، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: السابعة عشر (١٤١٢ هـ).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، (١٥/ ٤٨٩)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٥ هـ).

(٣) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ، (١٠/ ٥٦١)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط: (١٤٢٠ هـ).

علاقة المطلع بالخاتمة علاقة المقدمة بالنتيجة.

حيث يظهر التناسب بين المطلع والخاتمة في كون المطلع أشبه بالمقدمة والمعطيات، والخاتمة أشبه بالنتيجة والجزاء، فقد كفروا وثبتوا على الكفر منذ بداية الدعوة، فكانت نتيجة ذلك أن تبرأ المصطفى – صلى الله علية وسلم – منهم وألزمهم نتيجة عقيدتهم الفاسدة والتزم نتيجة عقيدته، ليتحمل كلٌّ منهم نتيجة سعيه، وتلك قمة العدالة في الفصل بين من آمن ومن كفر.

كما يظهر التناسب في اتحاد الموجه لهم الخطاب وهم الكافرون محور القضية مناط الحديث.

ويظهر أيضًا في اتحاد الفاصلة، حيث جاءت الآيتان بفاصلة (النون) مما يحقق التناغم الصوتي بين مطلع السورة وخاتمتها، فيثبت المعنى في الذهن، هذا بالإضافة إلى ما في صوت النون من القوة[1]، التي تؤكد قوة اقتناع المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بعقيدته ؛ مما جعله يتبرأ من هؤلاء الكافرين وعقيدتهم الفاسدة من مطلع السورة إلها نهايتها.

ويظهر التناسب أيضًا في تقابلهما من حيث الخبرية والإنشائية فالمطلع إنشاء والخاتمة خبر؛ فنزل التقابل – التضاد– بين الإنشائية والخبرية منزلة التناسب.

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) ، (١٠٧/٢) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط: الأولي (١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م).

ولعل افتتاح السورة بثبات هؤلاء الكفار على كفرهم بوصفهم بالكافرين في قوله: {قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ} [الكافرون: ١] جعل المولى – عز وجل – يتوعدهم في آخر السورة بالجزاء المستحق على كفرهم، فخاتمة السورة تتناسب مع مطلعها في بث روح الحسرة والندم في نفوس هؤلاء الكافرين على سوء صنيعهم ، فوصفهم بهذا الوصف المذموم في مطلع السورة؛ ولذلك تبرأ المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من عبادتهم في ختام السورة.

المبحث الثاني

التناسب في البناء التركيبي لمفردات سورة الكافرون

ويتناول دقة الكلمة في السورة من وجوه ثلاثة :

١. **مادتها وأصواتها واختيارها دون غيرها**.

٢. **بنية الكلمة التصريفي**.

٣. **موقعها**.

المفردات محل الدراسة في هذا المبحث هي (قل ، كفر، عبد، دين)

قُلْ:

صدر المولى – عز وجل – السورة بفعل الأمر (قل) ليدل بمادته "على الحكاية "[(١)] عن المولى – عز وجل – فالمصطفى – صلى الله عليه وسلم – مأمور بتبليغ السورة حكاية عن المولى – عز وجل – [(٢)] وليس من قِبل نفسه.

---

(١) معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، ص٤٣٨، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: الأولى(١٤١٢هـ).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، ص٦٨٩، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى (١٤١٢هـ).

بالإضافة إلى أن المولى – عز وجل – صدر السورة بـــ(قل) ؛ ليبث في نفوس السامعين أن ما يليها كلام تام [١] كامل الفائدة فيما يتعلق بقضية تمحيص الكفر من الإيمان، ولا مجال للنقاش فيه، مما يتناسب مع الـــدعوة لتدبره وعدم الحياد عنه؛ نيلًا للنعيم في الدارين.

وقوة صوتي القاف [٢] واللام [٣] توحي بقوة البدء تناسبًا مـــع قـــوة موقف المخاطِب في القضية؛ نظرًا لحسميتها بالنسبة له.

والإيجاز في عدد حروفه والاقتصار فيه على حرفين يتناســـب مـــع قصر السورة.

والعلاقة بين قل وباقي السورة – جملـــة مقـــول القـــول – علاقـــة استلزام؛ حيث إن القول يستلزم مقول القول الموضح له والعارض للقضية، بالإضافة إلى أنه يستلزم مقولًا له وهم الكفار المخاطبين بالسورة، ومضمون الخطاب المتعلق بنفي العبادة.

كفر:

وردت هذه المادة (ك ف ر) فـــي الســـورة بصـــيغة اســـم الفاعـــل (ٱلْكَٰفِرُونَ) ۞ فجاء به من الكفر دون الشرك ، لما في الكفر مـــن العمـــوم بتعدد خصاله بينما الشرك خصلة واحدة [٤] فأراد بمجيئه بالوصف من مادة

(١) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـــ)، ص٧١٠، تحقيق: (عدنان درويش – محمـــد المصري)، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري، (٢٠٢/١).

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب (٥/٢).

(٤) ينظر: معجم الفروق اللغوية ص٤٥٤ ، ٤٥٥.

(ك ف ر) العموم؛ حيث إن وصف " الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها" [١] فأراد مخاطبة الكفار على العموم مهما كان سبب كفرهم؛ لأن السورة تشملهم جميعًا على اختلاف طوائفهم.

وأصوات هذه المادة – (ك ف ر) – بما يسيطر عليها من الضعف ؛ حيث إن الكاف والفاء حروف مهموسة [٢] ضعيفة تتناسب مع ضعف موقف هؤلاء الكفار في العبادة ؛ لما يقومون به من تغطية للحق كفرًا به [٣]، بالإضافة إلى أنه لم يستخدم هذا الوصف سوى مرة واحدة في السورة؛ تأكيدًا على ضعف موقف وعقيدة الموصفين به.

وردت هذه المادة (ك ف ر) في السورة بصيغة اسم الفاعل، فناداهم المولى – عز وجل – في مطلع السورة بوصف (ٱلْكَٰفِرُونَ) اسم فاعل ولم ينادهم بالفعل الماضي، فلم يقل (يا أيها الذين كفروا)؛ لأن " اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ أمره وفلان نافذ الأمر فإنه لا يُفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ، ومن اسم الفاعل يُفهم ذلك"[٤] وبذلك يكون هذا الوصف متناسبًا مع المقام

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص٧١٤، ٧١٥).

(٢) ينظر: الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين(ت: ٧٤١هـ)، (١/ ١٦٨) ، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط: الأولى (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٤) مفاتيح الغيب (٢٥/ ٢٧).

لما فيه من التسجيل عليهم بكفرهم ؛ إذ إنه ثابت لهم غير منفك عنهم، دال على فساد عقيدتهم.

ووقع هذا الوصف في مطلع السورة ؛ لمخاطبتهم من بداية السورة بوصفهم المناسب لحالهم الثابت ، الذي لا نية لهم لتغييره، والمتناسب مع القضية محل العرض في السورة.

ومادة (ك ف ر) تتعلق بالكفار المخاطبين في السورة حيث بدأ السورة بالحديث عنهم بطريق الإظهار حين نادهم بالوصف الصريح في مطع السورة ، ثم بدأ يخاطبهم بطريق الإضمار في صلب السورة؛ لتجديد نشاطهم بتنوع أساليب الخطاب بين الإظهار والإضمار، وليدعُهم بذلك إلى مراجعة النفس في دينهم المعتنق.

عبد:

وردت هذه المادة في السورة بعدة صيغ هي: (أَعْبُدُ ، تَعْبُدُونَ ، عَٰبِدُونَ ، عَابِدٌ ، عَبَدتُّمْ).

وهذه الصيغ مشتقة من مادة (ع ب د) ووحدة الاشتقاق توحي بالتناسب بينها، و" العبادة: هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه؛ تعظيمًا لربه" [(١)] وقد تحقق هذا المعنى للعبادة في عبادة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لربه، بينما لم يتحقق في عبادة هؤلاء الكفار ؛ مما اقتضى أهمية الوقوف على منهج كلٍّ منهما في العبادة؛ لتمحيص الكفر من الإيمان، والذي

(١) التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، ص١٤٦، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

ظهر بوضوح في معقد صلب السورة الذي ضم مادة (ع ب د) على تنوع صيغها.

وأصوات هذه المادة (ع ب د) تميل إلى القوة؛ حيث إن العين والباء والدال حروف مجهورة قوية[١] توحي بقوة تمسك كلٍّ من الفريقين بمنهجه في العبادة؛ مما يتناسب مع معنى تمحيص الكفر من الإيمان في هذه السورة الكريمة، وبذلك يتحقق التناسب بين قوة أصوات المادة وقوة تمسك كل فريق بمنهجه.

وقد تنوعت صيغ هذه المادة بين الفعل المضارع (أَعْبُدُ ، تَعْبُدُونَ) ، والفعل الماضي (عَبَدتُّمْ)، واسم الفاعل المفرد (عَابِدٌ) ، واسم الفاعل الجمع (عَٰبِدُونَ) ؛ لتؤكد هذه الصيغ منهج كل من الفريقين في العبادة.

فوردت بصيغتي المضارع (أَعْبُدُ ، تَعْبُدُونَ) في قوله تعالى: {لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون ﴿١﴾] " إخبارًا عن نفسه – صلى الله عليه وسلم – بما يحصل منها. والمعنى: لا تحصل مني عبادتي ما تعبدون في أزمنة في المستقبل تحقيقًا؛ لأن المضارع يحتمل الحال والاستقبال فإذا دخلت عليه (لا)

(١) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)، لأبي القاسم (أو أبي البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (ت: ٨٠١هـ)، ص٤٠٩، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثالثة (١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م).

النافية أفادت انتفاءه في أزمنة المستقبل" [١] وبذلك يكون المصطفى – صلى الله عليه وسلم – قطع أملهم نهائيًا في تغير عقيدته في المستقبل بصيغة المضارع المنفي الدال على الاستقبال.

ووردت بصيغة الماضي (عَبَدتُّمْ) في قوله تعالى: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون﴿٤﴾] "ونفي عبادته آلهتهم في المستقبل يفيد نفي أن يعبدها في الحال بدلالة فحوى الخطاب، ولأنهم ما عرضوا عليه إلا أن يعبد آلهتهم بعد سنة مستقبلة." [٢] فنفى المصطفى – صلى الله عليه وسلم– عن نفسه في المستقبل عبادة آلهتهم المزعومة في الوقت الماضي قبل مجيئه بالرسالة والنبوة، وآثر صيغة الماضي لتتناسب مع الدلالة على تحقق وقوع [٣] عبادتهم لغير الله وثباتهم عليها.

ووردت بصيغة اسم الفاعل الجمع فى قوله تعالى: {وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ} [الكافرون ﴿٣﴾] وبصيغة اسم الفاعل المفرد فى قوله تعالى: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون﴿٤﴾].

ففى قوله تعالى: {وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ} [الكافرون ﴿٣﴾] "جاء في جانب نفي عبادتهم لله بنفي اسم الفاعل الذي هو حقيقة في الحال بقوله: ولا أنتم عابدون، أي ما أنتم بمغيرين إشراككم الآن؛ لأنهم عرضوا عليه أن

---

(١) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، (٣٠/ ٥٨١)، الدار التونسية للنشر– تونس ط:(١٩٨٤هـ).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٢).

(٣) ينظر: المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني الهروي، ص١٥٤، المكتبة الأزهرية،(١٣٣٠هـ) .

يبتدئوا هم فيعبدوا الرب الذي يعبده النبي – صلى الله عليه وسلم – سنة."[١] فصيغة اسم الفاعل الجمع المنفي تتناسب مع نفي عبادتهم لله ، وثبات جمعهم على عقيدة الشرك به.

وفى قوله تعالى: {وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ} [الكافرون﴿٤﴾] صيغة اسم الفاعل المفرد المنفي هنا تتناسب مع ثبات المصطفى – صلى الله عليه وسلم– على عقيدة التوحيد بمفرده.

واستخدم اسم الفاعل في الموضعين؛ ليدل به على ثبوت الصفة في صاحبها ورسوخ صاحبها فيها[٢] مما يتناسب مع الثبات على العقيدة بالنسبة للطرفين، ووقعت هذه المادة في صلب السورة، فلم تخل آية من صلب السورة إلا وحوت صيغتين من هذه الصيغ؛ لأنها تعرض موقف العبادة بالنسبة للفريقين من جميع جوانبه في قضية تمحيص الكفر من الإيمان.

وبذلك يمكن القول بأن العلاقة بين مفردات مادة (ع ب د) في السورة علاقة نفي للعبادة من الجانبين جانب المخاطبين بالسورة ، وجانب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – ؛ حيث يظهر ثبات كل فريق على عبادته، ونفي العبادة من الجانبين هنا يمثل مضمون الخطاب في السورة.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٢).

(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، ص١٤، دار عمار، ط: الثانية (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).

دين:

وردت على صيغتين هما: (دِينُكُمْ ، دِينِ) وهي من مادة (د ي ن) الدالة على " الطاعة "[١]، ووردت على هاتين الصيغتين ؛ لتوضح تحمل كلٍّ من الفريقين نتيجة طاعة عقيدته التي عرضها المولى – عز وجل – في صورة المقابلة – مقابلة معنيين بمعنين – التي شملت الآية بأكملها.

وجاء بالصيغتين من هذه المادة دون غيرها ففال {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} ولم يقل (لكم شريعتكم ولى شريعتى) لأن " الشريعة هي الطريقة المأخوذة فيها إلى الشيء ومن ثم سمي الطريق إلى الماء شريعة ... والدين ما يطاع به المعبود ولكل واحد منا دين وليس لكل واحد منا شريعة"[٢] فالدين بذلك أعم من الشريعة لتناوله لعقيدة كل شخص بعكس الشريعة، فكان استخدام الدين أوفى بالغاية في هذا المناط من الشريعة وأكثر مناسبة للمقام.

وقوة أصوات هذه المادة (د ي ن)[٣] تتناسب مع قوة الحق المتمثل في النتيجة الطبيعية التي ختمت بها السورة.

وما في (ياء) (د ي ن) من معنى الطول والامتداد [٤] يتناسب مع ثباتهم العقائدي الممتد الذي يتحملون نتيجته في الدارين.

---

(١) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، (٨/ ٧٣)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٢) معجم الفروق اللغوية (ص: ٢٩٩).

(٣) ينظر: سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي ص٤٠٩.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب (١/ ٧٦).

ووردت هذه المادة على صيغة المصدر ؛ لأنه يدل "على الحدث لا غير"[١] وتحلله من قيود الزمان وانصباب دلالته على مجرد الحدث وهو العقيدة هو المعني به في هذا السياق.

ووقوع هذه الصيغ في معقد الخاتمة يعد حسمًا للقضية بأفضل نتيجة مناسبة للمقام، تفصل بين الحق والباطل.

والعلاقة بين لفظي مادة (د ي ن) في السورة علاقة اختصاص حيث يختص كل فريق بدينه؛ تحملًا لنتيجة معتقده الديني.

والدين هنا مترتب على العبادات خطأ كانت أم صوابًا، فلو كان خطأً ترتب عليه خسارة الدارين، ولو كان صوابًا ترتب عليه الفوز في الدارين.

وترتُب الدين على العبادة جعل المولى –عز وجل– يقدم ذكر العبادة في صلب السورة، ثم يتبعها بذكر الدين في معقد الخاتمة؛ مراعاةً للتناسب في ترتيب الأحداث.

(١) المفتاح في الصرف ، لأبي بكر، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د/ علي توفيق الحمد ، ص٥٢ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط: الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

المبحث الثالث

التناسب بين معاقد سورة الكافرون.

ويضم:

أ- تقسيم السورة كمعاقد (معقد الافتتاح ، معقد صلب السورة، ومعقد الخاتمة) وكيف امتدت هذه المعاقد من مقول القول.

ب- التكرار في السورة

جـ - صور التقديم والتأخير في السورة.

د- تنوع الخطاب في السورة بين الإظهار والإضمار.

أ- **تقسيم السورة كمعاقد (معقد الافتتاح ، معقد صلب السورة ، ومعقد الخاتمة) وكيف امتدت هذه المعاقد من مقول القول.**

معقد الافتتاح قوله تعالى: { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ} [الكافرون: ①].

معقد صلب السورة قوله تعالى: {لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (②) وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (③) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (④) وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (⑤)}[الكافرون ②: ⑤].

معقد الخاتمة قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ }[الكافرون: ⑥].

أولًا : معقد الافتتاح قوله تعالى: { قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ} [الكافرون: ①].

العلاقة في معقد الافتتاح بين فعل الأمر { قُـلْ } ، وجملة مقول القول الندائية {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِـرُونَ} التفصيل بعد الإجمال [١]؛ حيث وقع الإجمال في فعل الأمر وجاء التفصيل في جملة النداء وما وليها.

وصدر السورة بفعل الأمر {قُلْ} خاصة؛ " للاهتمام بما بعد القول بأنه كلام يراد إبلاغه إلى الناس بوجه خاص" [٢] بصوت مسموع مجهور به؛ حتى يكون أشد تأثيرًا ، ويؤكد ذلك قوة أصوات الفعل (قل) فقوة صوتي القاف [٣] واللام [٤] يتناسبان مع قوة الرغبة في وصول جملة مقول القول على النحو السابق تفصيله للفصل بين أهل الكفر وأهل الإيمان.

كما أن الكفار " لما سمعوا قوله: {قُـلْ} علموا أنه ينقل هذا التغليظ عن خالق السموات والأرض، فكانوا يتحملونه ولا يعظم تأذيهم به ... وقوله: {قُلْ} يوجب كونه رسولًا من عند الله، فكلما قيل له: {قُلْ} كان ذلك كالمنشور الجديد في ثبوت رسالته، وذلك يقتضي المبالغة في تعظيم الرسول."[٥]

والعلاقة بين قوله: {قُـلْ} وباقي معاقد السورة التفصيل بعد الإجمال.[٦]

---

(١) ينظر: حاشية الدسوقي ، شروح (٣/ ٢١٤).
(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٠).
(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢٠٢/١).
(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب (٥/٢).
(٥) مفاتيح الغيب (٣٢/ ٣٢٤).
(٦) ينظر: حاشية الدسوقي ، شروح (٣/ ٢١٤).

وآثر تصدير جملة مقول القول التفصيلية بالنداء بـ(يا) خاصة الموضوعة في الحقيقة للبعيد، والتي قال عنها الزمخشري: أنها تستعمل للبعيد حقيقة ولا تستعمل للقريب إلا مجازًا؛ للتنبيه على عظم الأمر المدعو إليه [١] ، والمنادى هنا قريب ، ولكنه ناداه نداء البعيد ؛ ليتناسب ذلك مع بُعد هؤلاء الكفار عن الصواب ومجانبتهم للطريق القويم في معبوداتهم على تنوعها، مما سيعرضهم لسوء العاقبة.

ووصف الموجه لهم الخطاب بصيغة اسم الفاعل فقال: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ} ولم يقل (يا أيها الذين كفروا) " تحقيرًا لهم وتأييدًا لوجه التبرؤ منهم" [٢] بالإضافة إلى توبيخهم والتشنيع بهم [٣] ؛ حيث إن وصف {ٱلۡكَٰفِرُونَ} يدل على الثبوت بحسب الاسمية ، فدل على ثباتهم على الكفر وعدم وجود نية إصلاح العقيدة الفاسدة لديهم باتباع الصراط المستقيم والتزام طريق الهداية المحمدية ، ولكون القضية محسومةً لديهم أوجز المولى – عز وجل – في عرضها على هذا النحو ، بالإضافة إلى ما تحمله وجازة هذه السورة من ضيق بهؤلاء الكفار وسوء صنيعهم لغفلتهم عن طريق الهداية؛ مما يتناسب مع وصفهم بهذا الوصف.

---

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، (١/ ٨٩)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٧هـ) ، وينظر: حاشية الدسوقي على شرح السعد، (٣٣٤/٢).

(٢) التحرير والتنوير(٣٠/ ٥٨١).

(٣) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د: وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٣٠/ ٤٤٠)، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط : الثانية: (١٤١٨هـ).

ولما وصف الموجه لهم خطاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بالكافرين في معقد الافتتاح، ناسب ذلك أن يكون حديثه الإيضاحي في باقي السورة عن كفرهم؛ حتى يتناسب الحديث في ثنايا السورة مع هذا الوصف الذي عنون به السورة وصدر به معقد الافتتاح.

ثانيًا: معقد صلب السورة قوله تعالى: {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾} [الكافرون ٢: ٥]

التفصيل:

قوله تعالى: {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ} [الكافرون ٢] " إخبار عن نفسه بما يحصل منها. والمعنى: لا تحصل مني عبادتي ما تعبدون في أزمنة في المستقبل تحقيقًا لأن المضارع يحتمل الحال والاستقبال فإذا دخلت عليه (لا) النافية أفادت انتفاءه في أزمنة المستقبل." (١)

وقوله تعالى: {وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ} [الكافرون ٣] "جاء في جانب نفي عبادتهم لله بنفي اسم الفاعل الذي هو حقيقة في الحال بقوله: ولا أنتم عابدون، أي ما أنتم بمغيرين إشراككم الآن لأنهم عرضوا عليه أن يبتدئوا هم فيعبدوا الرب الذي يعبده النبي – صلى الله عليه وسلم – سنة." (٢)

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨١).
(٢) السابق(٣٠/ ٥٨٢).

وقوله تعالى: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ } [الكافرون﴿٤﴾] يشير إلى أن " نفي عبادته آلهتهم في المستقبل يفيد نفي أن يعبدها في الحال بدلالة فحوى الخطاب، ولأنهم ما عرضوا عليه إلا أن يعبد آلهتهم بعد سنة مستقبلة." (١)

وقوله تعالى: {وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ}[الكافرون ﴿٥﴾] "عطف على جملة: وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ [الكافرون ﴿٤﴾] لبيان تمام الاختلاف بين حاله وحالهم وإخبار بأنهم لا يعبدون الله إخبارًا ثانيًا تنبيهًا على أن الله أعلمه بأنهم لا يعبدون الله ... ويجوز أن تكون جملة ولا أنتم عابدون ما أعبد تأكيدًا لفظيًا لنظيرتها." (٢)

ولذلك قال الكرماني في إجمال معنى صلب سورة الكافرون: " نفى عن نبيه عبادة الأصنام في الماضي والحال والاستقبال ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضًا"(٣)

والعلاقة بين آيات صلب السورة علاقة ترقٍّ.

فقد امتد النفي متناولًا الآيات الأربع رابطًا بينهم بواو عطف النسق، وقد تجاوز النفي هنا نفي الجملة الواحدة إلى نفي الجمل الأربع على سبيل التتميم (٤) ؛ للمبالغة في الدلالة على نفي عبادة غير الله عن النبي – صلى

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٢).
(٢) السابق (٣٠/ ٥٨٣).
(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ات: نحو ٥٠٥هـ) ، ص: ٢٥٦، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
(٤) التتميم :هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة. الإيضاح في علوم البلاغة ص١٩٤.

الله عليه وسلم – على التأبيد، ونفي عبادة هؤلاء الكفار لله، وتقرير ثباتهم على الضلالة، فترقى في النفي من نفي الفعلية إلى نفي الاسمية في معقد الصلب، بالإضافة إلى قوة التأكيد بالربط بين الجمل بالواو ، فالواوات استغرقت جميع الأزمنة المحتملة فلم تترك شيئًا في الماضي والحال والاستقبال بالنسبة للفريقين إلا تناولته، مع التعريض بهؤلاء الكفار بإصرارهم على خسارة الدنيا والأخرة بالتزام طريق الضلالة.

وبذلك يظهر التناسب في صلب السورة في تماثل الأزمنة الثلاثة ؛ حيث تماثلت الأزمنة بالنسبة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهؤلاء الكفار في ثبات كلٍّ منهما على عقيدته، بالإضافة إلى تماثل فواصل آيات صلب السورة في القوة ؛ حيث إن النون، والدال، والميم حروف مجهورة[١] قوية.

ومن صور التناسب هنا أيضًا تقابل الفريقين في العبادة، بالتزام العقيدة ورفض التحول عنها.

ومن صور التناسب بين آيات صلب السورة افتتاح جميع الآيات بالنفي – بـ (لا النافية) – سواء النفي المتعلق بالمصطفى – صلى الله عليه وسلم – في نفي عبادته لغير المولى – عز وجل – أم النفي المتعلق بهؤلاء الكفار في نفي عبادتهم للمولى – عز وجل – بالإضافة إلى أن القوة [٢]_المتوفرة في (اللام) في (لا النافية) في صلب السورة تجعل قضية – تمحيص الكفر من الإيمان– محسومة بالنسبة للفريقين في قوة ثبات كلٍّ على منهجه في العبادة.

---

(١) ينظر: الكنز في القراءات العشر (١/ ١٦٨).

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب (٢/٥).

ومن صور التناسب ختم جميع آيات صلب الصورة بنفس المادة (ع ب د) لأن أمر العبادة هو المنوط بالحديث في القضية محل العرض، وتكريرها مرتين في كل آية من آيات صلب السورة لزيادة التأكيد على الثبات على العقيدة.

ومن هنا يمكن القول بأن العلاقة بين معقد الافتتاح ومعقد الصلب هي التعليل ؛ حيث علل لوصفهم بالكافرين نظرًا لفساد عقيدتهم ، ومجانبتهم للصواب في العبادة.

ثالثًا: معقد الخاتمة قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[الكافرون ٦].

العلاقة بين جملتي معقد الخاتمة علاقة تقابل.

حيث قابل معنيين بمعنيين في قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} فقابل قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ} بقوله: { وَلِيَ دِينِ } فنزل التقابل منزلة التناسب.

ويعد معقد الخاتمة " تذييل وفذلكة للكلام السابق"[١] حيث يمثل خلاصة ما تقدم عرضه ؛ إذ إنه النتيجة والحكم النهائي في قضية تمحيص الكفر من الإيمان ، التي حكت أحداثها سورة الكافرون، بتحمل كل من الفريقين نتيجة عقيدته التي اعتنقها.

وبذلك تكون العلاقة بين معقد الصلب ومعقد الخاتمة هي التوكيد المعنوي.

وامتدت هذه المعاقد من مقول القول على هذا النحو ؛ لأنها تفصيل لمقول القول عن طريق الترقي بعطف النسق والتتميم بعرض القضية من جميع جوانبها منتهية بالنتيجة العادلة في الفصل بين الفريقين.

---

(١)التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٤).

ب- التكرار في السورة .

التكرار في السورة يظهر فيما يلي:

أولًا: {يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ (١) } = {لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ (٦) }

التكرار جاء في صورة التوكيد المعنوي، والعلاقة بين الجملتين ذكر العام بعد الخاص بغية الفصل بين الفريقين في العبادة؛ حيث ذكر الكافرين خاصة أولًا – في الآية الأولى –، ثم جمع ذكر دينهم وديـن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في الآية الثانية – آخر آية في السورة –.

والغاية من صورة التكرار هنا التأكيد على التبرؤ من عقيدة الكفر؛ حيث أكد مجانبة المصطفى– صلى الله عليه وسلم – لهؤلاء الكفار في العقيدة، والتزامه عقيدة التوحيد، بحيث يختص بدينه، ويختص هؤلاء الكفار بدينهم.

ومن أوجه التناسب بين الآيتين اتحادهما في الفاصلة؛ مما يُحدث تناغمًا صوتيًا يربط أول السورة بآخرها، بالإضافة إلى تقابلهما في الإنشائية والخبرية وفي الموقف من العبادة، فينزل التقابل منزلة التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

ثانيًا:{لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٣) } = {لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ (٦) }.

العلاقة بين المقطعين العكس والتبديل[1].

(١) العكس والتبديل : هو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر. الإيضاح في علوم البلاغة ٣٢٩.

حيث بدأ المقطع الأول بذكر نفي عبادة غير الله عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في قوله : {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ (٢) } ثم ذكر المعنى نفسه في ختام المقطع الثاني في قوله: { وَلِيَ دِينِ (٦) } ، ثم ختم المقطع الأول بذكر نفي عبادة الله عن هؤلاء الكفار في قوله: وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٣) } ، وبدأ المقطع الثاني بذكر المعنى نفسه في قوله: {لَكُمۡ دِينُكُمۡ }.

والتناسب بين المقطعين هنا يظهر في التأكيد المعنوي لمعنى تمحيص الكفر من الإيمان باختصاص كلٍّ من الفريقين بمعبوده وثباته على دينه، بعكس وتبديل المعاني لتثبيت مضمونها في الأذهان.

ثالثًا: {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ (٢) } = {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ (٤) }

علاقة التكرار بين الآيتين هي التكميل [١] لدفع توهم الاكتفاء بمضمون الجملة الأولى – الجملة الفعلية–، وجاء بالجملة الأولى – رقم (٢) – فعلية، والثانية – رقم (٤) – اسمية؛ ليكون التكميل على وجه " أبلغ لاسمية المؤكِدة " [٢]؛ حيث إن " المضارع يحتمل الحال والاستقبال فإذا دخلت عليه (لا) النافية أفادت انتفاءه في أزمنة المستقبل" [٣] بينما نفي الاسمية يدل على الجمع بين نفي العبادة في الزمنين الحال والاستقبال[٤] وبذلك يكون مضمون الجملة الثانية تجاوز مجرد الدلالة على نفي عبادة غير

(١) التكميل : هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. الإيضاح في علوم البلاغة ص١٩٢.
(٢) روح المعاني (١٥/ ٤٨٦).
(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨١).
(٤) ينظر: السابق (٣٠ / ٥٨٢).

الله عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في المستقبل فقط إلى النفي في الحال والاستقبال؛ مما يزيد من تقرير ثبات المصطفى – صلى الله عليه وسلم– على عقيدة التوحيد في النفوس بتنوع صور الصياغة.

بالإضافة إلى أنه قد يكون تكرار الجملة الثانية فيه تأكيد لثبات المصطفى – صلى الله عليه وسلم– على عقيدة التوحيد لله، والواو للترقي في التنبيه على أن الجملة الثانية أبلغ من الأولى في تأكيد ثباته – صلى الله عليه وسلم – على التوحيد بدليل اسميتها؛ قياسًا على قول الإمام الزمخشري في الكشاف في تفسير قوله تعالى: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) } [التكاثر: ٣ – ٥] "والتكرير: تأكيد للردع والإنذار عليهم. وثُمَّ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد."(١)

ومن أوجه التناسب بين الآيتين في صورة التكرار هنا، اتحاد الجملتين في التكرار بالنفي، والمعنى بتقرير الثبات على العبادة، وقصر الآيتين، وتقابلهما من حيث الفعلية والاسمية.

رابعًا: {وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٣) } = {وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ (٥) }

العلاقة بين الآيتين التكميل؛ لدفع توهم الاكتفاء بالآية الأولى؛ حتى يتم التسجيل على هؤلاء الكفار مرتين بكفرهم وثباتهم عليه، بالإضافة إلى بيان الفارق بين ما هم عليه وما عليه المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في العبادة؛ وحتى يحدث تناسب بين نفي عبادة غير الله عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ونفي عبادة هؤلاء الكفار لله بتكرار كلٍّ منهما مرتين.

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٩٢).

وقد تكون الغاية من تكرار الجملة الثانية تأكيدًا للردع والزجر والإنذار، والواو تفيد الارتقاء في الإنذار والردع والتهديد؛ لتنبه على أن الجملة الثانية أبلغ وأشد من الأولى في الردع والإنذار والتهديد، قياسًا على قول الإمام الزمخشري السابق الإشارة إليه.

ومن أوجه التناسب بين الآيتين اتحادهما في المعنى، والتكرار بالنفي، والاسمية، والقصر.

" ويوحي التكرير في سورة «الكافرون» باليأس إلى قلوب من كفر من أن ينصرف الرسول عن دينه إلى ما كان يعبد هؤلاء الكفرة، فليتدبروا أمرهم بينهم مليّا، ليروا سر هذا الإصرار من محمد، فعساهم يدركون أن هذا السر هو أن الرسول على حق، فيما يدعو إليه، فلم ينصرف عنه إلى أديان لا سند لها من الصواب والحق." (١)

جـ - صور التقديم والتأخير في السورة.

التقديم والتأخير ورد فى موضعين فى السورة هما:

أولًا: قدم قوله: {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾} وأخر قوله: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ }.

ثانيًا: تقديم ما حقه التأخير في قوله تعالى: {لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾}.

أولًا: قدم قوله: {لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾} وأخر قوله: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ }

(١) من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، ص١٢٠، نهضه مصر – القاهرة، ط: (٢٠٠٥م).

مع اتحادهما في المعنى المقرر لنفي عبادة غير الله عن المصطفى – صلى الله عليه وسلم –

والتناسب يظهر في الآيتين في البدء بالنفي ، بالإضافة إلى تناسبهما في الدلالة على نفي عبادة الأوثان عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولكنه قدم الجملة الفعلية على الجملة الاسمية؛ لأن نفي المضارع يدل على النفي في أزمنة المستقبل فـ " المضارع يحتمل الحال والاستقبال فإذا دخلت عليه (لا) النافية أفادت انتفاءه في أزمنة المستقبل." [١]

ثم أخر عن ذلك نفي الاسم قوله: {وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٥)} ليدل بذلك على معنى يربو على معنى الآية المتقدمة ؛ حيث إن نفي الاسمية يدل على الجمع بين نفي العبادة في الزمنين الحال والاستقبال[٢] بالإضافة إلى ما تحمله الجملة الاسمية من دلالة على" ثبات الصفة واستمرارها"[٣]

وبذلك تكون العلاقة بين الآيتين"ذكر العام بعد الخاص" [٤] بالنظر إلى الأزمنة؛ تأكيدًا وتقريرًا لنفي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – عبادة غير الله عن نفسه.

والتناسب بين الآيتين يظهر بشكل عام في النفي، و" التوكيد" [٥] المعنوي، والدلالة على كمال التبرؤ من معبودات هؤلاء الكفار.

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨١).
(٢) ينظر: السابق (٣٠ / ٥٨٢).
(٣) في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٩١).
(٤) صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني (٣٨٩/٣)، دار الصابوني- القاهرة، ط: الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).
(٥) البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٥٩).

ثانيًا: تقديم ما حقه التأخير في قوله تعالى: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)}.

والعلاقة بين الجملتين في ثنايا الآية التقابل – بمقابلة معنيين بمعنيين–

فقدم هنا ما حقه التأخير؛ حيث قدم المسند – الخبر – وهو الجار والمجرور على المسند إليه في الجملتين. [١] في قوله تعالى: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)} بأسلوب القصر بطريق التقديم ◉ حيث قدم " في كلتا الجملتين المسند على المسند إليه ليفيد قصر المسند إليه على المسند، أي دينكم مقصور على الكون بأنه لكم لا يتجاوزكم إلى الكون لي، ودين مقصور على الكون بأنه لا يتجاوزني إلى كونه لكم، أي لأنهم محقق عدم إسلامهم. فالقصر قصر إفراد، واللام في الموضعين لشبه الملك وهو الاختصاص أو الاستحقاق." [٢]

وتبرز بلاغة أسلوب القصر بالتقديم في "الاختصاص" [٣] حيث اختص كل فريق بدينه ومعتقده ليتحمل نتيجته في الدارين.

والتناسب يظهر في بنية الجملتين على النحو نفسه من التقديم والتأخير، والتقابل، والقصْر، بالإضافة إلى أنه قدم ذكر حال هؤلاء الكفار في الجملة الأولى قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ} على حال المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في قوله: { وَلِيَ دِينِ } عناية بشأنهم وحسمًا للقضية ببيان كمال

---

(١) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، (٢/ ٩٦)، مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٨٤).

(٣) دلائل الإعجاز ، ص٣٤٦.

التبرؤ من دينهم؛ لأن هذا هو الذي يعنيه – صلى الله عليه وسلم – في هذا المقام، وإن لم يكن دينًا من وجهة نظره، ولكنه من فرط أدبه ولينه مع أعدائه أطلق على معتقداتهم الفاسدة اسم دين؛ حفاظًا على شعورهم لترغيبهم في الإسلام بالتزام الحسنى في التعامل معهم، وعدم السخرية منهم.

وعرف دين هؤلاء الكفار في قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ} بالإضافة إلى الضمير – ضميرهم –؛ تحقيرًا لشأن المضاف [١]، حيث إنه معتقد فاسد حقير في نفوس المؤمنين أولى الصلاح، وفي المقابل نكر دين المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في قوله: { وَلِيَ دِينِ } تعظيمًا[٢] لشأن هذا الدين ؛ فهو دين الحق الذي لا يقارن بدين هؤلاء الكفار ، وكأن المولى – عز وجل – نزل التضاد في تعريف دين الباطل وتنكير دين الحق منزلة التناسب، مما يقرر معنى التناسب في الآية الكريمة، الذي وصل إلى حد الإعجاز.

د- تنوع الخطاب في السورة بين الإظهار والإضمار.

أولًا : مواضع الإظهار:

ورد الخطاب مظهرًا في السورة في ثلاثة مواضع هي:

١- خطاب الكافرين بالوصف في قوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١} [الكافرون ۝١].

---

(١) ينظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، ص٢١، تحقيق: د: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، ط: الأولى (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م).

(٢) ينظر: السابق ص٢٦.

٢- خطاب الكافرين بالضمير الظاهر - واو الجماعة - في قوله: {مَا تَعۡبُدُونَ}[الكافرون٢].

٣- خطاب الكافرين بالضمير الظاهر - أنتم - في قوله: {وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ}[الكافرون٣].

ثانياً: موضع الإضمار:

ورد الخطاب مضمرًا في موضع واحد هو خطاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالضمير المستتر في قوله: {قُلۡ}[الكافرون ١] أي أنت يا محمد.

أولًا: مواضع الإظهار:

١-خطاب الكافرين بالوصف في قوله: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ}[الكافرون ١].

عرف المخاطبين هنا بالعلمية - الوصف - إهانةً[١] لهم؛ حيث خاطبهم من أول السورة بصفتهم الحقيقية ليؤكد من البداية ثباتهم على الكفر وعدم انفكاكهم عنه ؛ مما يؤكد قلة عقولهم ومجانبتهم لطريق الهداية؛ مما جعلهم يستحقون الإهانة بهذا الوصف، وبذلك يكون هذا الوصف على هذا النحو متناسبًا مع موقفهم من عبادة المولى - عز وجل - إذ إنهم يستحقون الإهانة؛ لحيادهم عن الطريق المستقيم في العبادة.

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ص٤١.

٢- خطاب الكافرين بالضمير الظاهر في قوله: {مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون ﴿٢﴾] .

السر في خطابهم بالضمير الظاهر ضمير الخطاب واو الجماعة في قوله:(تَعْبُدُونَ) هنا؛ لمواجهتهم بكفرهم وفساد عقيدتهم تنكيلًا بهم بدليل تأكيد هذا الضمير المتصل بالضمير المنفصل أنتم في الآية التالية لهذه الآية في قوله : {وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (﴿٣﴾) } وخطابهم بالضمير الظاهر هنا جاء متناسبًا مع ظهور فساد عقيدتهم وحيادهم عن الطريق المستقيم طريق الهداية والسعادة في الدارين.

٣- خطاب الكافرين بالضمير الظاهر في قوله: {وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ} [الكافرون ﴿٣﴾].

السر في التعبير بضمير الخطاب الظاهر مواجهتهم والتسجيل عليهم بكفرهم وفساد عقيدتهم، فخاطبهم بالضمير الظاهر (أنتم) في نفي عبادة الله عنهم؛ ليؤكد ظهور موقفهم في الكفر وعدم وجود نية لديهم لتغييره ، بالإضافة إلى عدم خفاء هذه النية على أحد؛ ولذلك نفى عنهم عبادة رب العالمين بالجملة الاسمية المنفية.

ويظهر التناسب بين مواضع الإظهار في الخطاب في كونها لمخاطب واحد وهم الكفار مع تنوع الأساليب بين العلمية – الوصف – وضمائر الخطاب في تأكيد ثبات تلك الفئة على الكفر بالوصف الصريح والضمائر الظاهرة، بالإضافة إلى التناسب من جهة كون الضمائر والوصف جمعًا.

ثانياً: موضع الإضمار:

خطاب المصطفى– صلى الله عليه وسلم – بالضمير المستتر في قوله: {قُلۡ}[الكافرون:١] أي أنت يا محمد.

خوطب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بضمير مستتر؛ لتأكيد كونه مأمورًا بتبليغ ما جاء في جملة مقول القول من قبل المولى – عز وجل – مما يؤكد نبوءته؛ إذ إن هذا الأمر لم يكن من قِبل نفسه؛ مما يوجب استتار ضميره تناسبًا مع استتاره في حمى المولى – عز وجل – بالانصياع لأوامر سبحانه.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث المتواضع، مع ما فيه من قصور، فبعد طول مشوار بحثي مع سورة الكافرون وموضوع التناسب فيها عرضت أهم ما ظهر لي من نتائج وتوصيات.

النتائج:

١- التناسب في سورة الكافرون فاق مقدور البشر حتى وصل إلى حد الإعجاز.

٢- تحقق كل وجوه التناسب في سورة الكافرون؛ حيث ظهر التناسب بينها وبين سابقتها ولاحقتها، وبين فاتحتها وخاتمتها، وبين آياتها.

٣- تنوع علاقات التناسب في السورة بين التوافق والتطابق، والتقابل، والتضاد الدلالي، والترقي، والتعليل، والمقدمة بالنتيجة، والاستلزام، والاختصاص، والتفصيل بعد الإجمال، والتوكيد، وذكر العام بعد الخاص، والعكس والتبديل، والتكميل.

٤- تضافرت كل مكونات النص القرآني تناسبيًا مع عرض قضية تمحيص الكفر من الإيمان في أبهى سورة بأقل ألفاظ.

٥- كل لفظة في السورة وردت متناسبة مع المعنى المقصود منها ، بالإضافة إلى تناسبها مع غيرها من الألفاظ المكونة لبنية السورة.

٦- السمة البيانية للسورة هي عرض تقابل التوحيد والكفر.

توصية :

أوصي بتوجيه العناية في الدراسات البلاغية نحو دراسة التناسب القرآني؛ لما فيه من فوائد جمة ستثري المكتبة البلاغية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم تنزيل رب العالمين.

١- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(ت: ٤٦٨هـ) ، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١١هـ).

٢- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، لمحمد حسين سلامة، دار الآفاق العربية، ط: الأولى (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٣- الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبي عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني (ت: ٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم – بيروت، ط: الرابعة (١٩٩٨م).

٤-البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر– بيروت، ط:(١٤٢٠ هـ).

٥-البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبي القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ات: نحو ٥٠٥هـ) ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

٦-البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:

الأولى (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧ م)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٨- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر- تونس ط:(١٩٨٤هـ).

٩- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: الأولى (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط : الثانية: (١٤١٨هـ).

١١- الجامع الكبير - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت (١٩٩٨م).

١٢- حاشية الدسوقي على شرح السعد، ضمن شروح التلخيص، دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر.

١٣- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، د: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (ت: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، ط: الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

١٤-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٥هـ).

١٥- سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط: الأولي (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

١٦- سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي (وهو شرح منظومة حرز الأماني ووجه التهاني للشاطبي)، لأبي القاسم (أو أبي البقاء) علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الحسن المعروف بابن القاصح العذري البغدادي ثم المصري الشافعي المقرئ (ت: ٨٠١هـ)، راجعه شيخ المقارئ المصرية: علي الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثالثة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤ م).

١٧- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م).

١٨- صفوة التفاسير، لمحمد علي الصابوني ، دار الصابوني- القاهرة، ط: الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

١٩- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ضمن شروح التلخيص، لبهاء الدين السبكي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة: عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر.

٢٠-في ظلال القرآن ، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: السابعة عشر (١٤١٢هـ).

٢١-كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ه)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٢-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة (١٤٠٧هـ) .

٢٣-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: (عدنان درويش – محمد المصري)، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٤-الكنز في القراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين(ت: ٧٤١هـ) ، تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، ط: الأولى (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م).

٢٥-مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، لمحمد بن عمر نووي الجاوي (ت: ١٣١٦هـ) ، تحقيق: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى (١٤١٧ هـ).

٢٦-مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، للحافظ جلال الدين السيوطي(ت:

٩١١هـ)، مقدمة المحقق ، قرأه وتممه/د: عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مكتبة دار المنهاج، ط: الأولى (١٤٢٦هـ).

٢٧-المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، تحقيق: د: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، ط: الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٢٨-المطول في شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني الهروي، المكتبة الأزهرية، ١٣٣٠هـ .

٢٩-معاني الأبنية في العربية، د/ فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط: الثانية (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).

٣٠-معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط: الأولى(١٤١٢هـ).

٣١-معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين(ت: ٣٩٥هـ) ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط:(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣٢-مفاتيح الغيب ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري(ت:٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: الثالثة(١٤٢٠هـ).

٣٣-المفتاح في الصرف ، لأبي بكر، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : د/ علي توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط: الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٣٤-المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط: الأولى (١٤١٢هـ).

٣٥-من بلاغة القرآن، لأحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، ط: (٢٠٠٥م).

٣٦-مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة.

٣٧-الموسوعة القرآنية خصائص السور، لجعفر شرف الدين، تحقيق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، ط: الأولى (١٤٢٠هـ).

٣٨-النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبي الخير ابن الجزري.

٣٩-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ -١٤٨٠م)، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة .

٤٠-نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى: (١٤٢٣هـ).

فهرس المحتويات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١	ملخص البحث	٤٣٦١
٢	المقدمة	٤٣٦٣
٣	التمهيد : التناسب وسورة الكافرون ويشتمل على :	٤٣٦٧
٤	تعريف التناسب لغة واصطلاحاً.	٤٣٦٧
٥	أهمية علم التناسب.	٤٣٦٨
٦	فائدة علم التناسب.	٤٣٦٩
٧	أنواع التناسب في القرآن الكريم بوجه عام.	٤٣٦٩
٨	التناسب بين عدد آيات السورة وأسمائها.	٤٣٧٠
٩	سبب تسميتها بـ(سورة الكافرون.	٤٣٧١
١٠	العلاقة بين السورة وسبب نزولها.	٤٣٧١
١١	فضل السورة وصلته بالتناسب.	٤٣٧٢
١٢	المبحث الأول: التناسب بين المطلع والمقصد والخاتمة في سورة الكافرون.	٤٣٧٤
١٣	المبحث الثاني: التناسب في البناء التركيبي لمفردات سورة الكافرون.	٤٣٨٠
١٤	المبحث الثالث: التناسب بين معاقد سورة الكافرون.	٤٣٨٩
١٥	الخاتمة: وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها.	٤٤٠٦
١٦	فهرس المصادر والمراجع.	٤٤٠٧
١٧	فهرس المحتويات.	٤٤١٣

تم بحمد الله